نوفيلا
نادين
جميع الطرق تؤدي للموت
فرنان ياسين
للتحميل مجانا

نوفيلا

# نادين

فرنان ياسين

في الواقع أنا خائف..

وممن أخاف ، أرتعب من نفسي حين تُرفَضُ من نفس أخرى ، أقلق حينما يكون شخص ما أفضل مني حتي في قضاء حاجته أو نزع سرواله ، أنا الرقم واحد وبدوني لا توجد بداية ، وأنت ، أنت الرقم صفر الذي يفتح من أجلي الباب لأَمُرَ مِن خِلاَلِهْ بهدوء...

ربما تكون أحداث هذا اليوم مؤسفة ، بل تقترب من كارثة عظمى تهز أركاني وتجعلني في حالة التأهب والاستعداد، كيف لشخص مثلي أن يتم رفضه ، التفكير في رفضي فقط يعتبر جريمة في حقي الذي أملكه ، أما عن قول " لا " مباشرة وأمام وجهي الجميل وصوتي الرقيق فهي أكبر من جريمة بل اغتيال ، اغتيال القلب ثم قتل الكرامة هكذا توصف ، وهكذا هو هذا اليوم ، ولكني لا أزال أفكر فيها ، بعينيها وجسدها الممشوق ، تمايلها ليتمايل الحمام معها ، صوتها الملحون ، وطقطقت كعبها على الأرض بغموض ،

تعرفت على الكثير من الفتيات ، ربما أكثر مما تتصور ، وأكثر مما أتدكر ، ولكن ، لم أقابل فتاة كهذه ، عنيدة ، متكبرة ، نزيهة ، وترفض الإذعان أمام ما أملكه من مال وسلطان ، من جمال و طغيان ، ولهذا لا أزال أفكر فيها ، تخترق خلايا قلبي وتجعله ينبض بها ، أكره الوقوع في الحب ، هو أشبه بالوقوع من أعلى السطح ولسوء الحظ السطح في فندق من عشرين طابق الوقوع يعني الموت المؤكد ، سألتقيها غدا في نفس المكان و الزمان لنتحدث مجددا وأتمنى ، أتمنى حقا ومن أعماق قلبي الدفين أن لا ترفضني مجددا ، ولتكن عاقبتها وخيمة ولأجعل حياتها كابوسا تتوسل لإنهائه ، أو ربما نعيش معا ، ونكون أفضل ثنائي على وجه المعمورة..

السادسة صباحا ..

في الحرم الجامعي ، حين يكون الجميع مع بعضهم البعض ، سواسية ربما أو مجرد أقنعة زائفة تتحرك وتحادث بعضها البعض بكذب واضح للجميع ، ولكن ، لا أحد يريد أن يفسد المسرحية ، وهي كانت وحيدة ، وأعني أنها تجلس بمفردها على كرسي خشبي طويل مؤلم للمؤخرة ، دنوت منها بهدوء ، حاولت أن أتكلم

وخجلت من نفسي مقاطعة هذا التأمل ، تنضر للجميع بعين الحيرة والفضول ، أقرب من أن تكون محققة عوض دارسة علوم الفيزياء ، تنضر جيدا رغم أنها تملك نظارات سميكة نوعا ما تضعها على أنفها الدقيق ، وعلى خديها ورود تناثرت وتركت لونها الوردي هناك ، أو شفتاها فأقرب من الفراولة من مرطب الشفاه ، لمحتني فجأة ، فسقط كل غصن مني على الأرض ، توقفت متجمدا كمن يقف أمام شبح ، حاولت التكلم ولم أستطع ومع عينيها العسليتان أصبح الأمر مستحيلا ، في المرة الأولى لم يكن الأمر بهذه الصعوبة لأنني كنت أعتقد أن موافقتها أكيدة ونيل إعجابها سهل جدا ، ولكن ، وألف لكن الأمر أشبه بأن تحاول منع بطريق في حالة اكتئاب للانتحار مشيا ناحية الجبال الثلجية .

حدثتني ويا ليتها لم تفعل فصوتها الرقيق جعلني أسقط في المحيط الهادئ ، جعلني أموت رويدا رويدا ، أموت مستمتعا بترنيمة السلام ..

- يا أنت ، لما تقف أمامي منذ ساعة أو أكثر ألا تملك صفوفا يجب أن تلتحق بها ؟

تلعثمت ، فتشجعت ونطقت ..

- لا أبدا ، أعتقد أنك هي صفي الجديد ، ودرسي الصعب ، واختباري النهائي ، فهل توافقين على ذلك ؟

ابتسمت وكأن الشمس اختارت المبيت داخل أسنانها ، وأتبعت هي بصوت مبحوح بعده كحة بسيطة ..

- مضحك للغاية ، لكن وللأسف لا يوجد دروس للمهرجين ، وبعد إذنك أملك صفا هاما يجب اللحاق به بسرعة..

فارتحلت بسرعة ، أراها تندثر أمامي كالرماد ، تختفي وسط مجموعة من الطلاب ، وبعدها لم أستطع أن أضفر بنضرة أخيرة..

حين تجر أذيال الخيبة والنكران جرا للمنزل ، حينما تشعر أن الحياة أغلقت أبوابها في وجهك ، حينها فقط ستعلم أنك مجرد نكرة ، مجرد شخص عادي شخص يحتاج لإعادة الضبط ، وإعادة شحن قواه من جديد..

الرفض هذه المرة لم يكن مؤلما كالمرة الأولى ، أعتقد أنني بدأت أعتاد عليه ، وربما في النهاية الرفض ليس شيئا سيئا إطلاقا ، لكنها وبشكل ما ، مقصودٍ ربما ، نعتتني بالمهرج ، بل أخبرتني بأنها لا تعطي صفوفا للمهرجين أمثالي ، وأقراني قليلون جدا ، نادرون لحد لن تجد أحدا مثلي ، جميل ، فاحش الثراء ، وغني ، وأملك المال الكثير ، هذه الصفات وحدها تكفي لإقناع أي فتاة مهما كان جمالها أو رتبتها في هذا المجتمع المدنس..

جلست القرفصاء أمام حاسوبي المحمول ، كانت شاشته تضج بالرسائل العديدة ، بدأت أقلب بين صفحات العالم الافتراضي ، أتجسس ربما على ملفها الشخصي ، وعلى اي جديد فيه ، لا تزال عزباء ويتابعها مئة شخص لا أحد منهم يعلم أنه يتابعها أساسا ، تفقدت أخر صورها ، وكانت مع شخص يبدوا أكبر سنا منها بكثير ، أعتقد أنه والدها العزيز ، وسيكون عن قريب صديقي المقرب ، صورت شاشة الحاسوب بهاتفي وأرسلتها لبعض المعارف ، لا أعتقد أن هذا ممنوع ، فقط أردت أن

أعلم اسمه وعمله وسنه ، أما عن منزله فأنا أعلم تماما أين يقطن ، قطعا لا ، لست مهووسا بها ، توجد الكثيرات أجمل منها وأفضل ، ولكني وقعت في براثن حبها ، وكنت ضحية لهذا الخداع العقيم..

يقال أن الجميل بأخلاقه وبكلامه ، ويقال أيضا أن المال يشتري كلاهما ، فلا تهم أخلاق ولا جمال ، إن كنت في سيارة مرسيدس فلا أعتقد أن إحداهن ستنظر إلى صفاتك الحميدة أولا ، وهذا هو الأمر الذي جعلني في حيرة من أمري ، أبوها شديد الفقر رغم أنه يملك منزلا لا بأس به ورثه ، وأما عمره فقد ضاع منه أكثر مما هو قادم ، مطلق ، فاز بالكفالة ، يملك العديد من المعارف الطيبين ، وهو قطعا لا يعمل بحكم أن بصره أصبح ضعيفا وغزاه الشيب وذبلت عظامه وأصبحت طرية تكسر بسهولة ، اسمه طويل جدا إلا أنني أوافق عليه ، لا أريد منكم إضاعة وقتي في ذكر الاسم فقد يأخذ ورقة كاملة..

أنا متنمر..

هذا واضح جدا ، أتنمر لأنني أملك الحق في هذا الأمر ، و إن كنت تعترض على استهزائي بك ، لن تتحمل العواقب ، لذلك دعني وشأني ، وحاول قدر الإمكان أن تستمتع بضعفك ، فالضعفاء هم ترياق أنفسهم ، وهكذا هي الأمور ، معقدة جدا طريقها ملتوية .

لا بأس بالقليل من الراحة الأن ، غدا يوم جديد ، وسيبدأ ذلك اليوم باختبار بسيط ، أملك حلوله على هاتفي ، فكما تعلمون الأستاذ صديق أبي ، لو كانت تلك الفتاة على صلة بي ، لجعلتها الأولى في دفعتها ، والأولى فيما تنوي فعله ، بضغطة زر واحدة فقط ، وأحول حياتها لجنة ..

**الثامنة صباحا ..**

**قاعة الاختبارات ..**

الوقت يمر ، والدقائق لا تنتظر أحدا ، أحاول دراسة كل شخص تسقط عيوني عليه ، هنالك أسود البشرة ، من أصل إفريقي يكاد يبكي أمام ورقة الفصل ، وأبيض يحاول أن يغش ولكنه خائف من

أن يطرد للأبد ، وفتاة شقراء ، ممتلئة القوام ، تبدوا سعيدة جدا ، يبدوا أن الأستاذ قد ساعدها كثيرا ، يا له من شخص صالح يستحق الدفن حيا..

الخروج من قاعة الاختبارات أشبه بالخروج من جحر ثعبان ، سأكون الأول كالعادة ، وهذا أمر ممل في الحقيقة ، فأن تشعر بنفسك تملك كل شيء في هذه الحياة ، هو أمر فاتر و بغيض للغاية ، ولكن ، لحظة ، هل هذه هي ، جميلة الجميلات ، زمرد المناجم ، وأطيب خلق الله ، إنها حتما هي ، وتتجه ناحيتي مباشرة ، أنا أتلعثم ، أفقد الإحساس بعقلي ، أصبحت مجرد جسد ، مجرد بالونه يسهل خرقها..

لم تنضر ، لم تلقي السلام ، لم تلاحظني حتى ، هل أنا نذل لهته الدرجة ، نكرة وحثالة ، هل هي تكرهني لتتجاهل عيوني الثاقبة ، هل أنا لا شيء بالنسبة لها ، مجرد تمثال بشري أخر تَمُرُ من خلاله..

إن كان الأمر هكذا ، وكانت عنيدة الطبع ، سأجعلها لينة معي بطريقة تؤلمها أكثر مما فعلت بي ، دون أن تنطق بكلمة ، و دون أن تتحرك ساكنا.

سأجعلها مقطوعة الأوصال ..

مجرد فكرة أحضرها الشيطان على طاولة التفاوض ، رفضتها مكررا أنها لا تستحق أكثر من صفعة ، ولكنه يرفض أن تدعس كرامتي على أقدام فتاة معدمة ، تمتلك شرفا ، بل تعتقد نفسها أطهر من باقي المعجبات ، في يوم ما و لن يكون بعيدا ستكون مجرد جثة هامدة ، تدفن تحت التراب ، ولما ماتت هكذا ، على حالها ، فقيرة ، وبائسة من هذه الحياة ، رغم أن الله قد أرسلني إليها ، لأغنيها ، وأجعلها سيدة العالم ، ففشلت ، وكان جزاء فشلها

الموت جوعا ..

***

تمر الأيام ، وتتساقط الشتاء ، تليها ثلوج بيضاء ، جعلت المدينة تغرق في لون السلم والاستسلام ، وكانت هي من تذيب الصقيع الملتصق بقلبي ، صورها ، وابتسامتها ، وحتى لباسها يدخل البهجة والسرور في أظلم أمكنة العالم ، إني ألمحها كلما خرجت لشرفة منزلها ، أتتبع خطاها كعبد ملهوف للقمة العيش ، إني أعيش بجوارها ، وقلبي بعيد عنها ..

وأعني " أصبحت جارها "

كم أملك من سنة ، لم أعد أستطيع الحساب ، هل تزوجت ، لا أعتقد هذا ، هل لا أزال أحبها ، طبعا وبكل جوارحي ، هل هي تزوجت ، نعم بطفل في الحضانة لا يستحق حظنا منها ، أنا تعيس الحظ رغم الأموال ، حزين القلب رغم المنازل والقصور لم يحدث كما كنت متوقعا ، حاولت التقرب منها كلما استطعت خلال دراستنا في نفس الجامعة ، وحاولت أن أكون لطيفا و غير متكبر ، حاولت وحاولت ، ولكنها في النهاية رحلت مع الرياح ، كانت مجرد غصن مكسور ، وجد من يصلحه ،

أعتقد أنها فقط ، أرادت شخصا يشعر بها ، شخصا يكون من نفس معاناتها لكي لا يعايرها بنقصانها ، وقد تحقق ما كانت تسعى إليه .

" مجنون ، متحرش "

هكذا كانت تعايرني في بعض الأحيان حينما تجدني أتحرك خلفها في السوبر ماركت ، أتلصص عليها كلص يحتاج بعض المال ، ولكني حقا ، حقا نادم على هذا اليوم ، ذلك اليوم لم يكن ممطرا ولا مثلجا ، بل كان ساخنا ، كالبركان الهائج ، تلك الشمس كانت سببا في مرض ابنها ، فجاءتني تطلب المساعدة ، بحكم أنني أملك سيارة وأيضا معارف في ذلك المستشفى ، فحملته بأقصى سرعة ، وانطلقت به غير مهتم بإشارات المرور ، ولا الشرطة التي كانت تلاحقني ، فتوقفت فور معرفتي من أكون ، وصلنا ، دخلت أركض كأنما هو ابني من لحمي ودمي ، كانت مفزوعة ترتجف ، تبكي تارة ، وتارة أخرى تعض أضافرها من الخوف..

تنهدت قائلا أمامها :

- لا خوف عليه ، لقد كلفت أفضل أطباء الأطفال به

لم تجبني ، تنظر للفراغ ، بعينان زائغتان ، عينان لا طالما أحببت أن تكونا ملكي ..

- يمكنك أن ترتاحي الآن !

هذه المرة ، كانت أصعب من سابقتها ، لقد رأتني أخيرا ، لمحتني كشخص قريب منها ، فاقتربت مني ، حتى شعرت بأنها تود هي أن تتحرش بي وقالت بصوت يملئه الحزن والتعب

- لا يمكنني أن أرتاح ، أنت لا تعرف هذا الشعور ، أنت لا تعرف معني الأمومة

على الأقل ، بل احتراما لي ، كانت لتشكرني عوض أن تذلني هكذا ، وتهينني ، هي تعتقد نفسها ملكة ، وأنا جعلت منها طاغية على إمبراطور الطغاة ، هذا جزاء من يصمت مرة ، ومن يفكر مرتين ، ومن لا يتخذ القرار ثلاث مرات..

مرت الأيام ، وتمر الشهور ، وكلامها لا يزال يدور في ذهني ، يخربش قلبي ليترك بصمته ، لم أخرج من المنزل منذ شهرين ، أخبار عن سقوط حاد في أسهم البورصة ، وأنا كنت أحد الخاسرين ، بل كنت أكبرهم .

لم أعد أستطيع النوم ، ولا النهوض لإعداد القهوة ، أصبحت شبحا شاحب الوجه يحوم حول البيت ، أجلس على الكنبة والتي بدأت في التآكل ، سأشتري واحدة أخرى ربما ، حينما تعود الأمور لمجاريها .

لا بد للانتقام ..

هي ، تعيش حياتها بسعادة وهناء ، بينما أنا ، أموت ببطء ، هي، تتجرع كؤوس الرخاء وتجلس على كراسِ الذهب ، وأنا ، أصبحت متشردا ومتلصصا ومخبولا بسببها ، سأعيد تأهيلها ، وأعيد ضبط نفسها الجامحة ، بالعنف ، أو بالطف ، كما تحب هي ، وكما أصر أنا ، الألم يجعل للإنسان هدف

أن يموت .

فوق مكتبتي المتواضعة ، صندوق أسود اللون ، ليس جميلا من الخارج ، ولكن عليه قفل مطلي بالذهب الخالص ، وحان وقت فتحه..

مسدس ، رصاص ، كاتم للصوت ، وبضع أمور أخرى لا أعلم فائدتها ، نزع صمام الأمان ، لنجعل من جسدها منطقة لإطلاق الرصاصات ، سأجعلها مثل الإسفنجة الصفراء ، ممتلئة بالثقوب وتتسرب الدماء منها ، لتموت وسط بركة من مائها المبارك ، حان الوقت ..

سأنتظرها في الخارج ..

بينما تساعد ابنها على الذهاب للمدرسة ..

أستغل فترة غياب الزوج للعمل ..

وأدخل بصفة شخص محترم ، سأطلب منها القليل من السكر وربما القليل منه ، والكثير منها ..

حانت اللحظة ، سأطفئ النار الموقدة في قلبي ، الأحداث تسير بسرعة ، رن الجرس ، وهاهي تخرج كالأميرة ، متبخترة في جمالها الخلاب ، وجسدها الممشوق ، وشعرها المنسدل

- مرحبا ، أيتها الجارة ، كيف الحال ؟

لم أكن أعلم ، أن زوجها في الداخل ، ينظر إليَّ باشمئزاز ، يعتقد أنني أحاول سرقة زوجته منه ، وجعلها ملكي ، سأسرقها حتما ولكنها لن تبقى هنا ، وفي هذه الحياة

- تفضل بالدخول ، لا تبقى في الخارج كلصوص !

إذا أنا سارق ، وماذا سأسرق بحق الإله الواحد في هذا المنزل المهجور ، لا بأس ، سأتمالك أعصابي ، وأحاول إخفاء المسدل خلف ظهري ، تحت القميص

- شكرا لك ، فقط لا أريد الإطالة ، ومقاطعتكم ، أردت فقط القليل من السكر إن كان لديكم منه المزيد ؟

شبح ابتسامة يطل على وجهها ، هل تعتقد أنني أصبحت مفلسا ، ولا أملك النقود لشراء كيس من السكر ، وقبل أن أحاول الجلوس على الكنبة البنية ، قالت بتعجرف

- طبعا ، لك ما تريد ، فقط سؤال إن أردت الإجابة عليه

لم أمانع ، ولم أتحدث مطلقا ، فقط جلست محدقا في جمالها الأخاذ بينما زوجها يلهو بدمية ابنه

- هل حقا أنت مفلس ، لا أقصد الإهانة ، فقط فضول ، هل أصبحت فقيرا ؟

كنت أعلم ، متأكد بأنها ستسخر مني ، سأخرج المسدس اللعين ، وأطلق عليها وعلى زوجها وأنتظر حضور اللابن لأقتلع رأسه ، ثم أجعلهم يجلسون قرب بعض ، وألتقط صورة بهاتفي الثمين الذي يشتري منزلهم بالكامل

- مرحبا ، هل ما زلت معنا ، تبدوا شارد العقل ، وحزين للغاية يا للمسكين ، أخر مرة رأيتك كنت جميلا ، لا تزال في ريعان شبابك ، الأن لحيتك أطول من ابني ، وشعرك أبيض من طلاء أظافري ، وحالتك ميؤوس منها ..
- لا أحتاج لمثل هذا الهراء ، طلبت سكرا فأحضريه يا نادين ، أم أقول ماريا !

ظهر الارتباك على وجهها ، بينما وجه زوجها مشدوه ، سارعت نحو المطبخ ، أحضرت كيسا كاملا من السكر

، تركته في الطاولة أمامي ، حملته ، وتحركت ببطء للخارج وبينما أخطو خطوة الخروج سمعت زوجها يسألها بفضول " من هي نادين "

سمعت صراخها من عتبة منزلي ، تلذذت بقهرها ، جعلت زوجها يفتح ما خلف الستار ، هو لا يعلم عنها شيئا ، ولا يعلم بأنها في الحقيقة ، مجرد كذبة ، قناع صنعته لنفسها ، فبعد أن أجرت العديد من عمليات التجميل ، ومحاولة تغيير لقبها واسمها وجعل نفسها عنوة من الطبقة الراقية بسرقة أموال جدتها ، ووالدها الذي مات قهرا ، ومات بجرعة زائدة من المخدرات ، رغم أنه لم يكن مدمنا ، القاتل واضح أمام عيناي ، هي تعلم ذلك ولكنها تعتقد نفسها في موضع قوة ، حينما أظهرت لها حبي الكبير والذي كان نقطة ضعفي الكبيرة .

يجب على القلب أن ينكسر أحيانا ، و على النفس أن لا تجد ما تريده أمامها ، يجب على الإنسان أن يكون آلة لا تحركه عواطفه ولا تسيره نفسه ، موضع القوة الوحيد هو العقل فقط ، ولا غير .

تتغير الأحوال ، وتتبدل الأشياء ، اشتريت تلفازا جديدا ، وكنبة أفضل من سابقتها ، أردت فقط أن أريها ، أنني لا أسقط مهما كانت العقبات ، ولا حدود للمال إن كنت تعرف كيف تتصرف به ، عكسها تماما ، عكس كل توقعاتها الفاشلة .

الإنسان الأعلى ، كساعة لا يمكنك أن تعرف الوقت بدونها ، كشخص يلقي الأوامر ويحرك دمى الماريونيت كما يريد ، الثايموس الذي احتل نصف بقاع العالم ، ضعاف البصيرة والدين ، جعلوا من أنفسهم آلهة هذا العصر الغريب ، قتلوا ربهم الأوحد ونفوه بعيدا عن قلوبهم ، مهما صعد الإنسان ، ومهما كان يطير في الفضاء ، يجب أن تعلم أنه في لحظة كسرٍ ، تحتاج لمن يَلُمكْ ويجبر بخاطرك ، مهما كنت لن تكون ، مجرد ظلٍ ، مجرد شخص يحتاج للمزيد .

نادين وقصات شعرها الغريبة ، لطالما فاجأتني بقص شعرها الجميل وجعله أقصر ، أو صبغه بلون لا يعلمه إلى خالقه ، وهذا أمر غريب بالنسبة لي ، حتى أنني أحيانا أعتقد بأنها ترتدي شعرا مستعارا تغيره كما تريد ووقتما تشاء ، كما تفعل بنفسها دائما .

حل الليل وتكونت الغيوم في السماء ، سوداء كقلوب الطغاة ، ترمي بشرر الماء على وجوه الطاهرين ، ليزدادوا طهارة ، وربما يكونون من الناجحين ، أما عني أنا فاختبأت تحت سقف الخذلان وجلست على كرسي هزاز ، لعله ، وبشكل ما يجعل كياني يهتز ويرتعد ، كوب قهوة ساخن يجعلني أستيقظ من غفوة الحياة ، وينير دربي إن استطاع ، أشاهد خيالات البشر في التلفاز ، وحبهم للفن والإنتاج ، يتراقصون تارة على ألحان الموسيقى ويبكون تارة أخرى على نفس اللحن ، هكذا هم ، في الفرح والحزن والسرور والغبطة .

أسمع صوت الموسيقى قادمة من منزلها ، وأسمع ضحكات زوجها التافه ، ربما يرقصون حول ضوء الشموع ووسطهم ابنهم ، لا أعلم لماذا يزعجني هذا الأمر ، لما أشعر بوعكة صحية ، أعتقد أنني سأمرض مجددا ، وأسقط طريح الفراش ، ولن تأتي لتراني حتى تشعر بغياب شخص يسترق النضر إليها .

وقد حدث كما كنت متوقعا ، جاءت بوجه كله زينة و طلاء ، تمدح منزلي الجميل كما تفعل كل مرة ، و ابنها يتشبث بلباسها ، تحاول التخفيف عني بكلمات تزيدني

مرضا وبؤسا ، أن زوجها طبيب نسبيا ، وأنني أعلم ما أفعله إن اشتد المرض ، طبعا لن أذهب لزوجها الأحمق ، لا أعلم كيف أصبح صيدلانيا ، أعتقد أن الحمقى يبيعون الدواء في المستقبل بشكل ما ، و ها هي ترحل لتأخذ معها كل شيء جميل ، وتأسر قلبي بمشيتها .

هل هي تستحق الموت ، أم أنها مجرد فتاة عادية أسقط في الهاوية من أجلها ، أم أنني أنا من أستحق الموت على ما فعلته لها ، وعلى تجسسي عليها وتتبعي لها كظل لا يفارقها إلا ليلا و قليل ما أفارقها في حلكة الظلام ، لمعلوماتكم فقط ، أملك منظارا يطل على غرفتها ، طبعا اشتريته لرؤية النجوم والكواكب وليس لأجلها طبعا ، فلست مهووسا هكذا ، أم أنها هي نجومي وهي كواكبي وعالمي الذي لم أكتشفه بعد .

للصباح عطر الياسمين ، وللتربة رائحة العطر الأصيل ، وللناس ملامح الهدوء والرزانة ، إلا أنا ، كنت الدخيل وسط مجتمع السعادة ، عبوس الوجه و غاضب الشكل ، أرتحل بين المنازل والناس ، لا أملك مكانا أذهب إليه ، أو شخصا أشكوا له ما فيَّ من حزن ، ولكن

لن أجده ، أو يجدني ، فلا أعتقد أنني الوحيد الذي يفكر هكذا ، بل يوجد نسخ طبق الأصل عني في كل مكان تطأ قدماك ، نحن مجرد تناسخ لأرواحٍ قد رحلت منذ القدم ، مجرد أشباح وأفكارٍ تبقت محفورة في هذه الحياة ، لا يوجد أجمل من الموت في الراحة ، ولا أقسى من الحياة في الشقاء ، نولد على فطرة الموت ، نولد ويقال لنا ستدفنون عما قريب ، فعمل لدنياك ولا تركض فيها ركض الحمير في البرية ، ففي النهاية ستأخذ ما كتبه الإله الأوحد لك .

أن تعيش وحيدا أمر غريب وجميل في نفس الوقت ، فلن يكون لك صاحب تتناقش معه ، بل عقل تتفكر فيه ، وتتفلسف في الموجودات أمامك ، فالإبداع والفن نِتَاجُ الوحدة ، والفلسفة وجدت لتبقى وحيدا وتتأمل فيما خلقه الله لك ، ليتفتح عقلك ، وتنشط جوارحك .

لم أفهم ، هي لم تخرج منذ ثلاث أيام ، وزوجها أيضا لم أشاهده لمدة طويلة ، أما الابن فأعتقد أحيانا أنني اختلقته في رأسي وهو مجرد وهم ، هناك حتما أمر غريب يحدث هناك ، في ذلك المنزل الهادئ ، أعتقد

أنه من واجبات الجار أن يطمأن على جاره مهما كانت الأحوال .

اقتربت من منزلها ، شعرت بهالة حزينة تحيط به ، الأعشاب في الأرض قد بدأت في الشحوب ، بينما طلاء البيت يتحول للأسود القاتم ، الوصول للباب حلم بالنسبة لي ، وسط هذه الطاقة السلبية الهائلة ، حينما حاولت دق الباب ، انفتح تلقائيا بنفسه كأنما كان ينتظرني ، ولكنه أصدر صريرا مزعجا ، إن كان لك سمع جيد .

الصالة في حالة حطام ، الكتب المنزلية ملقاة على البساط المتسخ ، بينما رائحة العفن تهاجم أنفك بدون رحمة ، ولجت للداخل أكثر ، غرفة النوم تبدوا أنها ساحة معركة أكثر مما هي غرفة ، لقد حدثت مشكلة هنا ، ويجب أن أعلم ماهي ، هرولت للخروج وبينما أنا مسرع لمحت شيئا ما ، حادا ، يشبه النصل ، توقفت لبرهة ، أحدق به بغير استيعاب ، كان أقرب لسيف من خنجر ، يلمع وسط الظلام ، هدئت خلايا عقلي وقلبي ، حينما لم تصبغه الدماء ، أو أحاطت به .

فأكملت الهرولة وقبل أن أصل لباب الخروج بخطوة ، سمعت الباب يفتح على مصرعيه مصدرا صريرا تسمعه حتى ولو كنت من بعيد ، تجمدت في مكاني ، بحثت عن خزانة ، فدخلت في جوفها ، وأغلقتها على نفسي بإحكام ، محاولا ألا أتحرك وأصدر صوتا ، رغم الضيق الخانق ورغم خشونة جسدي .

ومن بين الزوايا لمحت زوجها وهو يتحرك بشكل هستيري ، كأنه يبحث عن شيء ما ، يهز رأسه كصحن يبحث عن القمر الاصطناعي ، وبينما هو منهمك في البحث ، رن هاتفه ..

- لقد رحلت أخيرا يا عزيزتي ، تلك المجنونة كانت تريد قتلي

صمت لبرهة ، ربما قد شعر بأن هناك شخص ما يراقبه ، ولكن لا يهم إن وجدني ، المهم أنها تركته ، وأنه مخادع وزير نساء ، تماما كما توقعته ، فهذا الوجه الشيطاني لن يرضى بمرأة واحدة إطلاقا .

- لا يهم ، سأرحل الأن ، نلتقي في المساء عند الحديقة كما جرت العادة ، درهم ودينار ، أليس كذلك !؟

الأحمق ، هل هذا نوع من أنواع الشفرات الألمانية ، أم انه مجرد تلميح يعلمه هو وهي فقط ..

" درهم ودينار "

بعدها بقليل خرج بنفس سرعة دخولها ، بينما جعل أمواج الأسئلة تتلاطم بعقلي الغريق ..

هل هو الفراق ؟

نهاية القصة المزيفة ، ونهاية الفتاة الجميلة ، هل هي الأن مجرد مطلقة بطفل صغير ..

هذه هي فرصتي للاقتناص بها ، يجب على الذئب أن يختار الوقت و المكان المناسب للافتراس ، وتشبيه نفسي بالحيوان لا يعني أنه أفضل مني في هاته الفرص السانحة .

التركيز ، والمراقبة بدقة ، لم يدخل أحد للمنزل منذ أسبوع ، ولكن ، دائما ما تأتي سيارة وتركن أمام البيت دون أن ينزل صاحبها ، هل هو سارق ، أم أنها نادين تحاول الوصول لحل مقنع كلما تذكرت شظايا الماضي ، وتتذكر أن لها ابنا سينضج بدون أب ولا معيل .

بعد ذلك اليوم ، جاءت نفس السيارة الحمراء ، ولكن هذه المرة كان هناك شيء غريب ، فالباب قد فتح ، وخرجت منه فتاة في مقتبل العمر ، أجمل مما تبدوا عليه وأقصر مما تحاول أن تتدارك عيبها في الكعب العالي ، فتحت باب المنزل كمن هي ساكنته من زمان ، أسرعت للخارج قافزا فوق كل الموجودات في المنزل حتى وصلت لغايتي ، أدرت مقبض الباب خارجا برأسي أولا ، لأتفحص المكان ، وأن لا يكون أحد ما يراقبني ، هرولت بكل ما استطعت حتى وصلت لمنزلها ، وجدته مفتوحا كمن كان ينتظر وصولي ، تحركت بتؤدة ، بدون أن أصدر صوتا ولا همسا ، كدت أقطع أنفاسي لأصبح مختفيا .

سمعت صوت الكعب وهو يضرب بقوة على الأرض ، على شكل خطوات متباعدة وسريعة ، كانت في الطابق

العلوي حيث تتواجد غرفة نادين وزوجها ، التهمتُ درجات السلم بسرعة ، لألمحها نائمة على ضهرها ، تنظر لسقف الغرفة ، تتأمل الموجودات أمامها ، أردت العودة أدراجي حقا ، أردت أن أهرب من هنا ، تلك الذكريات التي تهاجمني ، والماضي الذي لا يريد أن يمحى من مستقبلي .

حاولت أن أستدير وأعود من حيث جئت ، ولكن خفت أن أصدر صوتا يخرجها من حالة الشرود تلك ، أعتقد أنها مجنونة ، بل مولعة بزوج نادين ، فهي بدأت في اشتمام ملابسه القذرة ، وتبحث في كل مكان عن شيء معين ، لم تجده ، ولم تتحرك ، بل عادت لسابق عهدها لتتأمل .

هناك شعور يغالبني ، شعور يلح عليَّ أن أعكر صفو مزاجها ، وأن أمثل دور الجار الخلوق والجيد ، هذا انتهاك لحق الجار ، أن تدخل لمنزل ما ، عنوة دون سابق إنذار ولا دعوة ، يسمى اقتحاما .

نفضت الفكرة من رأسي ، بدأت التحرك بتؤدة ناحية السلالم للرحيل ، و فجأة سمعت صوتها وهي بعيدة

عني بعدة خطوات ، خفت أن أرجع وتفضحني خطواتي ، فإسترقت السمع من مكاني ..

- نعم ، أنا في منزلك يا حبيبي ، والذي سيعود منزلنا في قادم الأيام ؟

إذا هي تتحدث مع صانع الأدوية ذلك ، يا للخسارة ، أن تترك الجمال لتتبع الصغيرات ، هو أمر غبي ومثير للشفقة ، وأن تجعل لنفسك عدوا لسبب سعادتك في الماضي ، مثير للغثيان حقا .

- من يكون هذا ، لا ، لا لم يتبعني أحد ، ولم أشعر بأنه يراقبني ، أعتقد أنه ركض ليبحث عن ماريا ، هه المسكين لن يجدها مطلقا ..

هل تقصدني بكلامها هذا !؟

لن أجدها مطلقا ، أين رحلت ، يجب أن أتدخل الأن ، ربما قتلوها و دفنوها في مكان لا يليق بها ، يجب أن أتدخل ، قبل أن يفوتني الحال ، وأصبح وحيدا مجددا بدون هدف ولا قناعة للعيش.

بحثت عن شيء يشبه القناع ، فارتديته على عجل ، لأندفع ناحية الغرفة ، كانت شبه نائمة على سرير نادين

، تدخن سيجارة أطول من حياتي ، توسع بؤبؤ عينيها فور مشاهدتي وانا أسحبها من قدميها ناحية المجهول ، وهي تصرخ ، وتصرخ ، تحاول تخليص نفسها من أنياب الأسد ، تحاول فاشلة أن تترك أثار أضافرها الطويلة على كتفي ، وعلى وجهي المغطى بكيس أسود .

تركتها تسقط من فوق الدرج بقوة ، تتدحرج ككرة بولينغ ناحية الحائط ، ليصطدم رأسها به ، وتفقد وعيها ، وربما حتى ذاكرتها .

أسندتها على الحائط ، باحثا عن شريط لاصق ، لأغلق فمها المزعج ، وأكبل يديها وقدميها ، قبل أن تستيقظ ، وتحول المكان لحفلة أوبرا بصوتها العذب .

انتظرت طويلا لتستيقظ ، كأنما اشتريت بيضة وانتظرتها أن تفقص طال الأمر أكثر مما يجب عليه أن يكون ، وفور أن فاقت من غيبوبتها بدأت تصرخ وتصرخ بدون فائدة ، بدون صوت ، كمسدس مكتوم يطلق الرصاص ولا أحد يسمع الطلقات ، لم أستطع صبرا عليها فبدأت سؤالها مباشرة

- أين هي نادين !؟

تلك النضرة في عينيها توحي بالتعجب والفزع ، كأنما لم تفهم سؤالي الواضح لها ، آه نسيت أن أنزع عنها الشريط اللاصق ، عذرا ، ها أنت ذا ..

- أيها المجنون ، ماذا تفعل ، لقد اختطفت الفتاة الخطأ ، سأجعلك تندم على فعتلك هذه

ثم ماذا بعد ، كيف أكون مخطئا بينما هي في منزل عزيزتي ، وكيف أكون ضالا وأنا أشتم رائحة عطرها في هذا المكان ، فبئس النفس إن لم تقاتل على نفسها المتفرقة .

صفعات متتالية ، بضع ضربات للبطن ، وَرَشةٌ من الذل ، لعلها تتكلم أخيرا ..

- والأن ، هل تعلمين مكانها

وبيد مرتجفة ، وشفتين غمرتهما الدموع واللعاب ، وعينان غائمتين وغائرتين داخل محجريهما ..

- من تكون نادين ، أنا لا أعرف فتاة اسمها هكذا ؟

اه حسنا ، طبعا ..

- اه عذرا ، أنتم تعرفونها باسم ماريا وهي كانت تسكن هنا وفي هذا المنزل بالذات ..

شعرت بأنها تريد أن تقتلني ، فخطأ مثل هذا كلفها الكثير من الدماء والدموع ، ولكن ما ذنبي أنا ، ماريا أم نادين هما نفس الشخص بالنسبة لي ..

- زوجة صادق السابقة إذا ، وأنت تكون حبيبها في أحلامك وصديق طفولتها في خيالاتك ، أنت إذا ذلك المتربص ، السيد محمد الشريف صاحب الأموال الطائلة !

هل هي تعمل في البلدية ، كيف تعرف إسمي كاملا ، رغم أنني مشهور بأموالي ولكن معظم الناس لا تعرف إسمي الكامل بل تعرفني فقط " بمحمد " ، غريب أمر هاته المرأة ، ربما تكون شرطية أو تعمل مع المخابرات ، من يعلم ؟

بعد أن انتظرت طويلا ردي ، باغتتني بأمر أخر ، ذلك الأمر الذي أحيانا أنساه عن نفسي ..

- لا بأس ، أعرف الكثير عنك ، وأعلم بأن جميع أموالك ربما أو أقول متأكدة بأنها بطرق غير شرعية ، كتبييض الأموال مثلا والتجارة بالبشر ، أليس كذلك !

كيف ، غير معقول ، من أين لها بكل هذا ، هل هي تقرأ خلف عيوني الإنسان أم أنها جن تشكل بهيئة بشر ، إذا ، لقد انكشف السر ، لست مثاليا في النهاية ، فأنا مجرد مجرم ، يجب عليها أن تموت ، أن لا ترى النور مجددا ، أو أرسلها لمكان بعيد حيث لن تجد سبيلا للرجوع..

- لا يهم كيفية تخلصك مني ، فكما تعلم أيها الصديق العزيز أنا أعلم أكثر مما تعلم ، فلا تحاول ، بعد أسبوع إن لم أكن في منزلي ، وفي فراشي مع صادق ، سينكشف سرك للعلن ، وستكون مطلوبا لدى الدولة ، ولدى الجميع

سليطة اللسان ، عدد الإناث يتكاثر دوما ، وحظي جعلني أسقط في براثين هاته المخادعة .

طبعا وكما يجب ، أخدتها في وسط الليل لمنزلي ، وجعلتها تزور كوابيس الظلام بنفسها ، لتجعل شخصا

يستسلم لا تجعله يعلم أنك تريد ذلك ، بل تلاعب به ، التعذيب النفسي يقتل ببطء عكس الجسدي .

غرفتي المطلية بالأبيض ، تركتها هناك ليومين ، لأجدها تتحدث مع الجدران ، وتصرخ كلما تكلمت معها ، لقد دفعتها للجنون ، ولكن هذا لا يكفي ، فكما تعلمون أنا في النهاية مجرم ، والمجرمون الجيدون لا يتركون دليلا ورائهم ، أعدت إلباسها ملابسها بعدما كانت ترتدي سترة بيضاء للمجانين ، وتركتها ترحل ببساطة ، لن تعود للمنزل ، فهي لا تعلم شيئا عن نفسها ولا عن نفسي أنا أيضا ، ولن يصدق أحد كلامها ، حتى ولو اشتكى بي حبيبها صادق لن تصدقه الشرطة لأنه مجنون مثلها فمن يصدق المجنون فهو مثله .

على المراقب أن يملك صبر الجبال في الثبات ، وعيني الصقر في رؤية كل شيء يتحرك ، تابعت ذلك الصيدلاني من بعيد ، كنت دائما أراقبه ، جميع تحركاته أصبحت تحركاتي ، وإن كان فيها بعض الشك ، أصبح محبا لها أكثر وهي مجنونة ، كان يجلب لها دائما معالجا نفسيا ، ويحضر تلك الأدوية الباهظة والنادرة جدا في السوق .

هو مجنون بحبها ، هل كان هكذا مع " نادين " أم أنه فقط يمثل الرأفة بها وينتظر الفرصة والوقت المناسب للتخلص منها ، كما فعل مع ماريا ، لا أحد يعلم ما في نفوس الأخرين ، لو كان لنا القدرة على ذلك لكنا قد قتلنا بعضنا البعض منذ قديم الأزل .

حبيبة القلب ، ماريا ، أنت جميلة ، ومتسرعة ، أنت مثالية، ولكن مقززة ، هل حبي لك لم يكفي ، أم أنك تبحثين عن المزيد والمزيد من شيء غير موجود ، بينما أنا ، كنت مجرد عابر سبيل بقلب أبيض وأموال لا تنتهي حتى ولو كانت من جهات مشبوهة

لطالما كان أبي يردد نفس الكلام ، لا تخبر عابرات السبيل بسرنا هذا فإنهن كثيرات الكلام وكثيرات المعشر ، هو رحل وبقيت أنا أتمشى على خطاه الهادئة والواثقة .

" درهم ودينار "

اللعنة هل هذا هو الوقت المناسب للتفكير بهذا ، أين كان عقلي حينما كنت أملك المفتاح للجواب على السؤال ، والمفتاح قد جن جنونه وأصبح لا يعلم أي باب يفتح وأي منزل ملكه .

في الصباح وكما جرت العادة ، بدأت أراقب ، حتى انتشر النعاس داخل جسدي ، فلجلوس في مكان واحد ، وفعل شيء واحد ، يؤدي للخمول وللنوم أيضا ، وهكذا أغلقت شوارع الرؤية ، وأصبحت أبصر الظلام ، حتى تسلل عصفور يغني بهواه أمام وجهي ليكون نداء الاستيقاظ من الجديد ، وفور النهوض من ذلك الإدمان الحلو ، لمحت عيناي شيئا غريبا ، لا أعلم الساعة بالضبط ولكن اتجاه الشمس يشير للثانية زوالا .

صادق يحمل في يديه ثقلا واضحا فهو يترنح مع كل خطوة يخطوها ناحية سيارته ، بدى كأنه كيس نفايات ضخم ولكنه العكس تماما ، ربما هي جثة المجنونة ، وربما تكون هي بحق ، أسرعت ناحيته دون أن يلاحظ وجودي وبشكل دراماتيكي ضربت عنقه ، أو بصيغة

أفضل ، ضربته للرأس حتى انهمرت منه الدماء ، لربما مات ، ولكنه يتنفس بصعوبة ، فتحت الكيس بتأني .

كما توقعت كانت جثة فتاة ، إنه قاتل بحق ، لست المجرم الوحيد هنا ، ولكن الجثة مغلفة بإحكام ببلاستيك شفاف حتى لا يتبين منها شيء ، لا وجهها ولا جنسها .

أخدتها للمنزل بينما ربطت صادق في منزله الذي كان جميلا بشكل لا يصدق وكان فارغا أيضا ، حللت البلاستيك عن الجثة بسكين دقيق ، وبتؤدة حتى لا أصيب الميت بأي جروح ربما تأثر على هويته ، وإذ بها كما توقعت ، كانت هي ، تلك المجنونة ، المفتاح الذي نسي مكانه الطبيعي ، وبينما أنا أعيد المرحومة لسابق عهدها ، شعرت بضربة قوية على مؤخرة رأسي ، جعلت النضر أصعب مما كان عليه ، تحسست منطقة الضربة دون أن أشيح نضري عن ما كنت أفعله ، لأشعر بماء دافئ يغمرها ، وبسرعة حاولت أن أباغت الغبي الذي ضربني ، وإذا بي أسقط أرضا دون أن أشعر وتتشوش الرؤية رويدا رويدا ...

المكان رطب ، مصباح يتدلى من السقف متراقصا مع الخيط الرفيع الذي يشده ، وكرسي خشبي خشن أجلس عليه بحكم أن مؤخرتي بدأت تتألم ، بينما يداي مكبلتان بسلاسل حديدية ، حاولت أن أعيد المشاهد في ذهني ولكنها لم تحضر ، وبينما فتحت عيوني ..

"هل هذه أنت نادين ؟

كانت تقف في زاوية بعيدة ، كجبل شامخ ، تبتسم بشكل مقيت يظهر لمعان أسنانها المتراصة ، بينما شعرها المتدلي كخيوط الحرير على كتفيها ، وفجأة بدأت بالتقدم بخطوات أثقل من السلحفاة ، ومع كل خطوة تتقدم كان قلبي يضخ الدماء ، وقد ضهر وجهها الملائكي الجميل ، إنها حبيبة القلب ومن غيرها ، حبيبة الروح التي قتلت روحها ، وهل يؤدي العشق لقتل العشيق إن كان هو نفسها ..

وبكلام مبحوح ، وسيجارة تستنشق منها حروفها ، قالت :

- مرحبا يا حبيبي ، ألم تتعلم بعد ، ألم تفقد صبرك مني وتبتعد عن ما هو ليس لك وتكف

عن مراقبته كشخص مجنون ، لقد جعلت من حياتي كابوسا أعيشه ، وجعلت من زواجي نقمة أكثر مما هو نعمة ، أيها الحقير اللعين

وهل بدأت بغزل وأنهيت كلامك بهجاء ، وهل حبي لك كان مصدرا للشقاء ، ولو استسلمت لي من البداية لما وصلنا لهنا ولهذا المكان ، ألا تعلمين أنني شيطان يتحرك حسب هواه ، أيتها الحمقاء ويا أيها الجبان المختبئ ، فهي إذا كانت المحرك للماريونات ، وهي أيضا المخططة لكل هذا الغباء .

- لا بأس يا فتاتي ، فكلامك غزل بالنسبة لي ، ولا أريد أن ألحق بك الأذى كما فعلت بي ، سأعطيك خيارين اختاري واحدا منهما ، فكما تعلمين أن الأغنياء دائما على حق ، وأيضا كما لا تعلمون ، فمنزلي مأمن بكاميرات مراقبة ، يراقبها شخص أمين لا يفشي أسراري لأحد ، وقد شاهدك متلبسة بضربي على الرأس واختطافي ، وقد يكون في طريقه إلى هنا ، وربما أتكهن بأن مكاننا هذا هو منزلك الأول فحسب متتبع الأماكن خاصتي والذي هو مزروع داخل

هاتفي ، الخيار الأول أن تقتلي زوجك الصغير وتأتي معي والخيار الثاني أن تموتا مع بعض في السجن بينما طفلك الصغير سأتبناه وأجعله ابني ، الخيار سهل جدا فهو ببساطة وفي النهاية الأمر يصب في مصلحتك ؟

انتظرت طويلا ، بل أطول من اللازم ، بينما هي خرجت من القبو ناحية زوجها لتقتله ربما أو يهربا مع بعض ، وقد كان لي ما أردته فجاءت تبكي وتقول أن زوجها مات .

- جيد ، لأول مرة اتبعت طريقي ولن تندمي ، بل ستموتين ندما أيتها الحمقاء ، هل تعتقدين أنني سأسامحك بعدما مثلت مسرحية بجميع أدوارها ، وجعلت قلبي لا يهدأ لفراقك ، طبعا لا ، أنت الأن متهمة بجريمة قتل ثنائية إضافة لعملية اختطاف وتعدي على أملاك الغير ، لو ركزتي فقط قليلا لوجدت ثغرة في كلامي لك قبل قليل ، الشرطة في طريقها الأن يا نادين ، هيا أهربي ، هرولي لإنقاذ حياتك الدفينة ، لربما تعيشين وأبحث عنك مجددا وأجدك .

كان كلامي كسكين غرسته في قلبها وشددت عليه ، لم تفكر ولم تفهم حتى أنها لم تستفسر مطلقا عن الثغرة ولا عن ما سيحدث لابنها الوحيد ، بل فرت بعيدا .

لم تكن هناك شرطة ، ولا شيء من هذا القبيل ، بل حقا هناك متتبع في هاتفي ، وشخص أمين يحرس داري ، وهو طبعا قادم لهنا لمساعدتي في بدأ حياة جديدة ، حياة خالية من نادين ، حياة لن تكون مجرد حياة في وجود إبنها الوحيد الذي سأربيه ليصبح شخصا أسوأ مني ، وأجعل منه ربما قاتلا يقتل بصمته وكلماته ، ففي النهاية الكلمات تقتل أفضل من السلاح .

تمت بحمد الله وتوفيقه ..

فرنان ياسين ..

إذا كنت وصلت لهذا الحد من الرواية ، فأنا أريد إخبارك ، بأن حبك لفتاة ما وإن كان من طرف واحد فهو مضيعة للوقت لك ولها أيضا فربما يحدث لك كما حدث مع نادين وتصبح متربصا بها لحد الهوس فتنسى نفسك تماما ، لكل فتاة في هذا العالم حق في الحب ولكل شاب في هذه الحياة الحق في أن يبادل الحب .

فقط اصبر ، وكن لنفسك كل شيء ، وكن سعادة لها بأبسط الطرق والوسائل .

شكرا ..